مجلة علوم التربية

دورية مغربية نصف سنوية

ملف خاص عن الكفايات

- توجهات البحث حول تكوين المدرسين
- تربية المستقبل ورهان تحقيق التنمية البشرية
- البحث العلمي ومجتمع المعرفة في المغرب
- تعليم الكبار في عصر تكنولوجيا المعرفة
- التعليم العتيق والبنية التقليدية في المغرب
- جودة المراقبة المستمرة
- مؤتمر اليوم العالمي للفلسفة

العدد الثالث والثلاثون- مارس 2007

تعليم الكبار
في عصر تكنولوجيا المعرفة

• د. محمد اشتاتو *

مقدمة

تعتمد القاربة الإبستمولوجية للتربية في الألفية الثالثة فلسفة التنمية الذهنية من خلال التأهيل العرفي المستمر، وما التعليم إلا السلك الأكثر استخداما والأكثر جودة ومردودية في مجال اكتساب المعرفة في شقيها الأكاديمي الصرف أو التكنولوجي والمهني، علما أن التأهيل العرفي هو المدخل الضروري والأساس للتنمية البشرية التي تفضي إلى التنمية الشاملة بمفهومها الاقتصادي والاجتماعي.

لقد كان التعليم قديما عبارة عن عملية «تحميل» التعلّم معارف عديدة لا طائلة ترجى من ورائها على أنها مناهج مقررة من الهيئات التربوية التخصصة. ونتج عن هذا «التحميل» الآلي أجيال من التعلّمين الذين يستخدمون بضاعات معرفية جاهزة، أثبتت التجربة عدم جدواها في الحياة اليومية.

ومع مرور الزمن وتراكم التجارب التربوية، نظرية كانت أم ميدانية، أصبح الاعتماد أكثر من الماضي على توفير مهارات معرفية للمتعلّم قادرة على مساعدته في اتخاذ القرار الصائب في حياته اليومية عوض "تحميله" معارف جاهزة وذات طبيعة غير وظيفية.

وإن الحضارة الإنسانية باعتمادها رؤية جديدة في مجال التربية مفادها أن تنمية المجتمع لا تتأتى إلا من خلال تعليم كل أفراده مهما كان سنهم أم مهما كانت وضعيتهم الاجتماعية والاقتصادية، وتمكينهم من مهارات معرفية وحرفية. ومن النتائج الطبيعية لهذه الرؤية وهذا التوجه ظهور موضوع "تعليم الكبار"، واهتمام الباحثين والسلطات التربوية به.

* أستاذ باحث/ الرباط ـ المغرب

يحدد قاموس التربية معنى تعليم الكبار بأنه أيّ عملية يحاول فيها الرجال والنساء أن يحسنوا أنفسهم بزيادة معرفتهم أو مهارتهم، ويرى عايف حبيب وعبد الجليل يونان هنودي [1]:

«أنّ تعليم الكبار بأوسع معانيه يشمل على جميع خبرات الأشخاص تقريبا (رجالا ونساء) التي بواسطتها يحصلون على معرفة جديدة وفهم ومهارات واتجاهات واهتمامات أو قيم، وهو عملية تستعمل من قبل الكبار لتطوير ذاتهم سواء كانوا لوحدهم أم مع آخرين، كما يستعمل من قبل مختلف أنواع المؤسسات لتنمية وتطوير مستخدميها وأعضائها وأتباعها وهي عملية تربوية غالبا ما تستعمل مرتبطة مع عمليات الإنتاج والعمليات السياسية أو عمليات الخدمة، وفي معناه الفني الأكثر دقة، فإن تعليم الكبار يصف مجموعة من الأنشطة المنظمة التي تؤديها أنواع مختلفة من المؤسسات لإنجاز أهداف تربوية معينة وبهذا المعنى فهو (تعليم الكبار) ...»

وهنا يتبادر إلى الذهن السؤال الآتي: من هم الكبار؟ الكبار هم الرجال والنساء الذين:

- تجاوزوا سن الثالثة والعشرين.
- بدؤوا حياتهم المهنية.
- يقومون بأدوار اجتماعية فعالة.
- يتحملون مسؤوليات عائلية.

وتتميز ذهنيتهم بالآتي:

- الواقعية تأخذ مكان الخيال والرومانسية.
- انخفاض في سرعة التعلم.
- قدرة أكبر على تنظيم المعلومات.
- تأثير الأدوار الاجتماعية على الشخصية.
- تغير في الحاجات والأحاسيس والتطلعات.

والفرق بين تعليم الكبار وتعليم الصغار هو أن المعلم يدرس ويلقن الصغير ويسهل وينشط عملية التعلّم لدى الكبير، والمتعلّم الصغير يستقبل المعلومات في حين أن الكبير يتعلم من خلال البناء على خبرته.

ويتعلم كذلك من خلال إثارة الاهتمام، وربط العلاقات، وحل المشكلات، والحوار والمناقشة والعمل والتجربة.

واستنادا إلى التعريف الذي قبلت به دول العالم في المؤتمر العام لليونسكو الذي انعقد في نيروبي سنة 1976 فإن تعليم الكبار هو المجموع الكلي للعمليات التعليمية المنظمة أيا كان مضمونها ومستواها وأسلوبها، مدرسية كانت أم غير مدرسية، وسواء كانت امتدادا أو بديلا للتعليم الأول المقدم في المدارس والكليات والجامعات أو في فترة التلمذة الصناعية والذي يتوصل به الأشخاص الذين يعتبرون من الكبار في نظر المجتمع الذي

ينتمون إليه لتنمية قدراتهم وإثراء معارفهم وتحسين مؤهلاتهم الفنية أو المهنية أو توجيهها وجهة جديدة، وتغيير مواقفهم أو مسلكهم، مستهدفين التنمية الكاملة لشخصيتهم والمشاركة في التنمية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية المتوازنة والمستقلة.

وانطلاقا من هذا التعريف، تصبح كل العمليات التربوية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية في أي زمان وفي أي مكان، والموجهة إلى الفئات العمرية غير المنتظمة في المدرسة النظامية جزءا لا يتجزأ من عملية التربية المستمرة للكبار. وبالنسبة لمسارع الراوي وقمر الدين قرنبع[2] فإن :

« ... هذا يعكس مدى الآفاق الواسعة التي تتيح فرص التعلّم بأنماطه المتعددة للكبار، الشيء الذي يلقي على المجتمع بكل مؤسساته التربوية والسياسية والاجتماعية مسؤوليات واضحة ومحددة تجاه تعليم أفراده، بحيث لا تقتصر فرص التعليم على فترات التردد على فصول الدراسة النظامية بل تمتد مدى العمر لتشمل كافة المهارات وفروع المعرفة المختلفة وتستخدم جميع السبل والوسائل التربوية لتهيئة المجال لجميع الأفراد لتحقيق التنمية الفكرية والثقافية والاجتماعية الشاملة لشخصيت».

أما قاموس التربية Dictionary of Educatio[3]، لصاحبه Carter V.Good. فيحدد معنى تعليم الكبار بأنه أية عملية يحاول فيها الرجال والنساء أن يحسنوا أنفسهم بزيادة معرفتهم أو مهارتهم أو اتجاهاتهم، أو العملية التي بواسطتها يحاول الأفراد أو المؤسسات أن يحسنوا الناس في مجال التعلّم.

تعليم الكبار في العالم الإسلامي

لقد حصلت معظم الدول الإسلامية على استقلالها من القوى الاستعمارية الغاشمة بعد مقاومة شرسة خلال النصف الأول من القرن الماضي. وبخلاف ما روج له الاستعمار بأنه دخل إلى هذه البلدان بواعز حضاري تنويري، فإن أغلبية ساكنة العالم الإسلامي لم تستفد البتة من منافع هذه الحملة التنويرية. والأدهى من ذلك أن قوى الاستعمار سواء الفرنسي أو الإنجليزي أو الإسباني أو البرتغالي حاربت بشراسة مؤسسات التعليم الأصيل المنتشرة في مجمل البلدان الإسلامية من مدارس قرآنية وخلاوي وكتاتيب ومعاهد دينية، وحاربت الحرف القرآني كذلك بذريعة أن هذا النوع من التعليم وهذا النوع من الحرف لا مستقبل لهما يذكر، وأن خريجي هذه المؤسسات التعليمية لا مكان لهم في ركاب الحضارة الحديثة. وعوض هذا التعليم الإسلامي الأكثر انتشارا، سارع الاستعمار إلى فتح مدارس أوروبية تدرس باللغات الأوروبية مواد تعليمية لا صلة لها بواقع المتعلّم المسلم. وعملت هذه المدارس منذ البداية على تعليم أبناء النبلاء المتعاونين مع الاستعمار لإعدادهم لتولي مناصب إدارية متوسطة داخل الجهاز الإداري للمستعمر ليخدموا مصالحه حالا ومستقبلا بعد نيل الاستقلال، وهذا ما كان، وهذا كان سببا من أسباب تراجع نسبة المتعلمين في العالم الإسلامي بطريقة مهولة أدت إلى تخلف العالم الإسلامي اقتصاديا وتكنولوجيا وسياسيا واجتماعيا.

وحينما أنشأت البلدان الإسلامية المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ـ إيسيسكو ـ لم تكن

مبادرتها مجرد مشروع لمنح العالم الإسلامي مؤسسة يحاكي بها المؤسسات الإقليمية والدولية التي تعمل منذ أمد في مجالات تطوير المعرفة ونشرها. بل تجاوزت هذا المنظور بفضل وعيها وحسها بظروف العصر، وإدراكا منها بأن التساؤل المطروح عليها اليوم هو: كيف تستقبل القرن الحادي والعشرين على المستوى التربوي والثقافي والعلمي والتكنولوجي وتساير روح العصر دون أن تفرط في تراث ماضيها المجيد؟

واستجابة لهذا التطلع قرر مؤتمر القمة الإسلامي الثالث، المنعقد بمكة المكرمة والطائف في شهر يناير من سنة 1981م، إقامة جهاز فعال كفيل بالاستجابة لطموحات الجماعات الإسلامية وآمالها، قادر على الدفاع عن المبادئ الإسلامية السمحة الرامية إلى تحقيق التقدم، والسلم والعدالة والتسامح والديمقراطية وحماية حقوق الإنسان وصيانة الكرامة الإنسانية.

ولقد بات مؤكدا، من واقع التجربة التاريخية، أن بلدان العلام الإسلامي، لا يمكنها إذا هي عملت كل على انفراد، أن تكسب معركة التنمية، إنما لابد لهذه الأقطار من التعاضد والعمل المشترك والاعتماد الجماعي على النفس من خلال مؤسساتها الدستورية الإقليمية والدولية. كذلك تؤكد التجربة أن طاقات البشر هي المورد الأول للتنمية، بل إن التنمية هي تنمية بشر وليست مجرد إنتاج سلع أو إقامة منشآت، ومن هنا تأتي أهمية وأولوية التركيز على البشر وتعظيم الطاقات البشرية في كل استراتيجية سليمة للتنمية.

ولقد سيطر على سياسات واستراتيجيات التنمية التربوية في أغلبية الدول الإسلامية في الماضي إيلاء الأولوية القصوى لتعليم الصغار على تعليم الكبار، بل أكثر من ذلك التضحية بأحقية الكبار المشروعة في التعلّم بغرض توفير فرص التعلّم للصغار باعتبارهم أمل العالم الإسلامي في المستقبل وعنوان تنميته.

وقلة الاهتمام بتعليم الكبار في غالبية أقطار العالم الإسلامي ترجع إلى عدة عوامل منها ما هو موضوعي ومنها ما هو ذاتي، نذكر من بينها:

1. الافتقار إلى سياسة تربوية واضحة:

الافتقار إلى سياسة عامة لتعليم الكبار، فإذا نظرنا إلى البرامج الحالية لتعليم الكبار في البلاد الإسلامية من هذه الناحية نجد أن قليلا منها هو الذي يستند إلى سياسة عامة، مثل محو الأمية والثقافة العلمية.

2. ضيق المفهوم الدلالي لتعليم الكبار:

ضيق المفهوم الحالي لتعليم الكبار وغرضه، ففي كثير من الأحيان يستعمل اصطلاح تعليم الكبار مرادفا لمحو الأمية، وبذلك يصبح الكل مساويا للجزء، ومحو الأمية متردد بين الصغار والكبار، والثقافة الجماهيرية يضطرب نشاطها بين التعليم والتثقيف وبين الثقافة الرفيعة والثقافة الجماهيرية.

3. قصور المؤسسات والبرامج:

قصور المؤسسات والبرامج عن الوفاء بحاجات الملايين من أبناء الشعوب الإسلامية، فعلى الرغم من كثرة هذه البرامج وتعددها فمازالت الملايين من أبناء هذه الشعوب لا تجد لنفسها مكانا في أي من هذه البرامج.

4 .فقر البرامج من حيث المضمون والطرق :

فقر الكثير من هذه البرامج من حيث المضمون العلمي والطرق المستخدمة، فعدد من هذه البرامج يقدم مضمونا تقليديا اشتق من برامج قديمة مضى "منها أو من برامج "أجنبية" وضعت لبيئات مختلفة عن البيئات الإسلامية، ولم تؤسس على أساس دراسة حقيقية لمشكلات الناس في مختلف البيئات والمواقع. أما الطرق والأساليب المستعملة فمعظمها من النوع الذي يعتمد على الاستماع وقلما تتيح للمتعلمين الكبار ذوي الخبرة العميقة فرصة المشاركة في البحث الاكتشاف والتفكير.

دور المنظمة الإسلامية في مجال تعليم الكبار

لقد أولت المنظمة الإسلامية اهتماما بالغا نحو الأمية وتعليم الكبار منذ بداية أنشطتها وبرامجها، ويستند هذا الاهتمام إلى هدفين أساسيين من أهداف المنظمة التي تم الاتفاق عليها منذ انعقاد المؤتمر العام التأسيسي في فاس بالمملكة المغربية في الفترة من 3 إلى 5 مايو، 1982 وهما[4]:

1.تقوية التعاون وتشجيعه وتعميقه بين الدول الأعضاء في ميادين التربية والعلوم والثقافة والاتصال.

2.تدعيم التكامل والسعي للتنسيق بين المؤسسات المتخصصة التابعة لمنظمة المؤتمر الإسلامي في مجالات التربية والعلوم والثقافة والاتصال، وبين الدول الأعضاء في المنظمة الإسلامية ـ إيسيسكو ـ تدعيما للتضامن الإسلامي.

وتأكيدا على اهتمام المنظمة الإسلامية بموضوع ـ تعليم الكبار فقد خصصت له في خطط عملها المتلاحقة منذ 1982 العديد من البرامج والأنشطة تمثلت في اجتماعات خبراء ودورات تدريبية للعاملين في المجال من مدرسين ومؤطرين، إعداد كتب متخصصة وتنظيم لقاءات علمية والقيام بدراسات ميدانية. وعملا بهذه السنة الحميدة أفردت المنظمة الإسلامية لمجال تعليم الكبار برامج في عدة حقول من خطة عملها الثلاثية السابعة، 2004-2006 وهي :

- محو الأمية.
- التعليم للجميع.
- التربية وخدمة المجتمع.

وترتكز هذه الحقول على مجموعة من المحاور، ويشتمل كل حقل على مجموعة من البرامج والأنشطة، وتحاول المنظمة الإسلامية أن تستجيب من خلال برامجها وأنشطتها إلى احتياجات العالم الإسلامي الأساسية في مجال تعليم الكبار، والتي تتمثل في عدة نقاط نلخص أهمها هنا :

- التكوين المستمر للعاملين في مجال تعليم الكبار (مدرسين، ومؤطرين، ومنسقين وإداريين) وتعريفهم بآخر التطورات التربوية والعلمية؛
- إعداد المناهج الدراسية والكتب التعليمية الموجهة للدارس والمدرس؛

- تنظيم ورشات تربوية لتقديم وتدارس إشكاليات تعليم الكبار النظرية والتطبيقية وإيجاد الحلول المطلوبة لها؛
- عقد لقاءات للخبراء المختصين بتعليم الكبار لتقويم العملية التعليمية.

كما اهتمت المنظمة الإسلامية بموضوع تعليم الكبار من خلال مشروعاتها الحضارية التالية :

- مشروع إنشاء مراكز التكوين المستمر في مجال اللغة العربية في الدول الناطقة بغيرها؛
- مشروع محو الأمية باستعمال الحرف القرآني المنمط؛
- مشروع محو الأمية لفائدة الأطفال المشردين والفتيات والنساء.

وعملت على المشاركة الفعلية والفاعلة في رعاية تنظيم المؤتمرات الدولية التي تعنى بمواضيع لها علاقة بتعليم الكبار، وكانت دوما طرفا منظما كاملا لهذه المؤتمرات العالمية الكبيرة، وراعيا لها ومشاركا فيها، ونذكر من بينها:

- المؤتمر العالمي حول التربية للجميع (جومتيان، تايلاند، 1990 [5])؛
- المؤتمر العالمي حول المعرفة (تورنتو، كندا، 1997)؛
- المؤتمر الحكومي الدولي حول السياسات الثقافية (استوكهولم، السويد، 1998)؛
- المؤتمر الدولي حول التعليم التقني والمهني (سيول، كوريا الجنوبية، 1999)؛
- القمة العالمية للتنمية المستدامة (جوهانسبورغ، جنوب إفريقيا، 2002).

وإذا كانت الجهود التربوية لابد أن تستهدي بإطار فكري يحدد لها الغايات ويرسم المسارات، ويشير إلى الوسائل التطبيقية، فإن الإطار الفكري الموحد لجهود المنظمة الإسلامية، وفقا لما تؤكده أهداف قيامها، نستشفه من الأهداف الثلاثة الآتية:

- جعل الثقافة الإسلامية محور مناهج التعليم في جميع مراحله.
- دعم الثقافة الإسلامية وحماية استقلال الفكر الإسلامي من عوامل الغزو الثقافي والتشويه والمحافظة على معالم الحضارة الإسلامية المتميزة.
- حماية الشخصية الإسلامية للمسلمين في البلدان غير الإسلامية.

ولعل هذا هو ما جعل سياسة المنظمة الإسلامية في تعليم الكبار تستند إلى أسس راسخة وقواعد صلبة، فالإسلام هو أول وآخر دين سماوي ينزل كتابة للبشر، وأول آية مقدسة منه تبدأ بالقراءة والكتابة :

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ "عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ" (العلق: 1 ـ 4.

تعليم الكبار في ظل التقدم الحضاري

إن التقدم الحضاري الذي عرفته الإنسانية في العقود الأخيرة سواء على المستوى المعرفي أم على المستوى

التكنولوجي ساهم في دمقرطة المسألة التعليمية وأدى إلى ظهور مفاهيم تربوية جديدة لها علاقة مباشرة بتعليم الكبار مثلاً :

- التربية للجميع Education for all
- التربية الجماهير Mass education
- التربية الشعبية / التربية الاجتماعية Social education
- التربية الأساسية Fundamental education
- التعليم الأساس Basic education
- التربية مدى الحياة Lifelong education
- التربية المستمرة Permanent education
- التربية غير النظامية Non-formal education
- التربية العرضية Incidental/Informal education
- التربية خارج المدرسة Out of school education
- التعلّم الذاتي Self- Education
- التعلّم عن بعد Distance education

ومن هنا كان التأكيد على ضرورة التوجه المستقبلي للعالم الإسلامي نحو مفاهيم الحضارة الإنسانية والتقدم العلمي ومواكبتهما، مع التأكيد على جذور المبادئ والقيم الإنسانية الأساسية والخبرات التي يقوم عليها تراث الأمة الإسلامية العقائدي والفكري والحضاري مما يساعد على تميز الذات الثقافية للمسلمين.

إن هذا من شأنه أن ينمي تعليم الكبار في البلدان الإسلامية ويعززه إذ يمكن أن يصبح تعليما يمنح الشباب والمسنين الشعور بأنهم ينتمون إلى كيان ما وبأنهم هم أنفسهم كيان ما، وتعليما يحترم الخبرة ويراعيها كما يمنح الناس شعورا بالقيم الذاتية والاحترام الذاتي والانتماء، ويعزز قيم المشاركة والتعاون والروح الإنسانية والتضامن ويشجع عليها، وتعليما يتفهم أن الموارد التعليمية أكثر من مجرد كونها موارد مالية أو طبيعية وأنها تشمل الخبرة والحكمة الإنسانية المشتركة، وتساعد على تطوير نوع جديد من التربية للجميع التي تشمل بالفعل جميع الناس.

وإنّ التقدم الحضاري الهائل للإنسانية بثورته الرقمية digital revolution قد أتاح قنوات تعليمية جديدة لم تكن لتخطر بالبال في الماضي القريب مثل الأنترنت Internet والتعلم بالفيديو المباشر video-conferencing والهواتف الخلوية المتعددة القنوات ووسائل العرض بالفيديو المتحرك animated data show، الخ.. وقد مكنت هذه الوسائل من تطوير التعليم الذاتي من تعليم الكبار وتقريب المتعلّم من معلّمه صوتا وصورة وكتابة رغم بعدهما الجغرافي والسرعة في الاستجابة للمتطلبات التعليمية للمتعلّم سواء على مستوى التدريس أم التوثيق، أم الحفظ وما إلى ذلك.

ويقول فخر الدين القلا في موضوع الوسائط الحديثة لتعليم الكبار: [6]

«أدى التقدم السريع في الوسائط الحديثة إلى توسيع مفهومها بحيث يشمل أجهزتها، وبرامجها، ونظمها، ولذلك يفضل التفكير بها وفق مدخل النظم الذي يعدها تقنيات شاملة متكاملة.

وتتداخل التقنيات الحديثة فيما بينها في مجال التعليم، وخاصة في مجال تعليم الكبار، والتعليم الموازي للتعليم النظامي أو المتفاعل معه، وخاصة في مجالي التعليم غير النظامي المحدد الأهداف، والتعليم اللانظامي العرضي، الذي أصبح ينافس الأشكال الأخرى من التعلّم ويتفاعل معها ويسهم في التربية المستمرة للإنسان.

ولسهولة الدراسة اختيرت التقنيات الحديثة التالية في تعليم الكبار وهي:

ألف ـ التعليم عن طريق الحاسوب.

باء ـ التعليم عن طريق التلفزيون والفيديو.

جيم ـ التعليم عن طريق القمر الصناعي العربي والأقمار الصناعية العالمية.

دال ـ التعليم عن طريق المراسلة أو التعليم عن بعد وهي تقنيات متشابكة، ومتفاعلة يستفيد كل نظام من الأنشطة الأخرى لتحسين تعليم الكبار...»

1. الأنترنت

لقد دخلت الأنترنت مجال التعليم من بابه الواسع في النصف الأول من التسعينات حيث بدأ التدريس بواسطته في الكثير من المدارس والمعاهد في أمريكا أولا، ثم في بقية العالم من خلال دروس تعليمية مؤدى عنها في معظم الاختصاصات، وأطلق على هذا النوع من التعليم اسم online education أي التربية عن طريق الأنترنت. ومع انتشار الأنترنت في البيوت والمدارس والمعاهد والجامعات والإدارات وظهور ما أطلق عليه cyber cafés "مقاهي الأنترنت"، برزت إلى الوجود العديد من الخدمات الموازية مثل:

- online school مدرسة على الأنترنت
- online university جامعة على الأنترنت
- online library مكتبة على الأنترنت
- web tutorial / online tutorial درس على الأنترنت
- online bookshop مكتبة (مكان بيع الكتب) على الأنترنت
- online deg حصول شهادة تعليمية على الأنترنت
- music education online تعليم الموسيقى على الأنترنت
- online exam امتحان على الأنترنت

ولم تتوقف الأمور عند هذا الحد بل بدأت تظهر على الأنترنت مؤسسات تعليمية افتراضية مثل:

- web virtual schol مدرسة الأنترنت الافتراضية
- web virtual university جامعة الأنترنت الافتراضية
- the World Wide Web Education virtual library مكتبة العلوم التربوية الافتراضية على الأنترنت

وفي أمريكا بالإضافة إلى الجامعات الكبرى state universities والجامعات الأهلية المجتمعية community colleges التي توفر مقررات دراسية على الأنترنت، بدأت الإدارات الأمريكية توفر تعليما وتكوينا بالمقابل للراغبين في التعلم والتدرب في مجالات العلم والمعرفة والتكنولوجيا. وعلى سبيل المثال فإن وكالة اكتشاف الفضاء الشهيرة NASA تتوفر على موقع تربوي على الأنترنت[7] أطلق عليه اسم NASA Education Enreprise يضم البرامج التالية :

- التعليم الإعدادي والثانوي Elementary & Secondary Education
- التعليم العالي Higher Educatio
- التعليم غير النظامي Informal Educatio

من خلال المؤسسات التربوية التالية :

- المدرسة الثانوية لوكالة اكتشاف الفضاء High Schoo AANASA-F
- المدارس الاستكشافية لوكالة اكتشاف الفضاء School Institues NASA
- المعاهد الاستكشافية لوكالة اكتشاف الفضاء Explorer Institues NASA

كما توفر الوكالة على الأنترنت خدمة المنح والمساعدة للباحثين والطلبة Science and NASA echnology Scholarship Program (STSP)T واعتمدت نظام التعليم للفئات العمرية المختلفة.

وتوفر الجامعات الأمريكية على الأنترنت[8] سواء منفردة أو بشكل جماعي مقررات دراسية تمكن الطالب من الحصول على شهادة جامعية كالماجستير Masters أو Educator Astronaut Program الباكلوريوس Bachalor بالإضافة إلى شهادات Certificates في المال والأعمال والصحة، والتمريض والتربية من جامعة أمريكية عريقة كـ:Cornell، وIndiana State، وRegis وUmass ، ويطلق على البرنامج الدراسي اسمthe College Networ Online Degrees. وهذا التعليم على الإنترنت قد أدى إلى ظهور جيل جديد من الجامعات المعتمدة

من قِبَل إدارة التربية الأمريكية وهي ما أطلق عليه online universities التي توفر برامج التعليم عن بعد Distance Learning Education، أو ما يسمى بالتعليم الإلكتروني E-Learning، ومن أشهر جامعات الانترنت الأمريكية نجد جامعة كابيلا Capella University [9].

وتوفر الجامعات الإلكترونية من خلال نظام التعليم الألكتروني e-learning[10] خدمات جليلة ومريحة للمتعلم الكهل وذلك للأسباب التالية:

1. يمكن للمتعلم أن يلج الفصل ،الفصل الإلكتروني e-classroom أو الفصل الافتراضي virtual classroom) في الوقت الذي يختاره هو ليلا أو نهارا، فهذه الفصول تبقى مفتوحة وجاهزة للتعلم على مدار الساعة ومدار السنة دونما انقطاع، وهذا النوع من التعليم هو ذو مردودية كبيرة مابين الكبار لأنه يوفر لهم الدروس في أوقات مواتية جداً، أي خارج أوقات العمل.

2. يوفر التعليم الإلكتروني للمتعلّم جوا نفسيا مريحاً جداً، ليست فيه أية إحراجات أو إكراهات يمكن أن يشعر بها في الفصل العادي وخاصة تلك المتعلقة بالبطء في التعليم أو الإجابة الخاطئة على التمارين الشفوية أو الكتابية .

3. إمكانية التحاور مع المدرس بحرية من خلال الدردشة chat أو من خلال الرسائل الإلكترونية emails دون رؤيته أو من خلال النقاش المباشر عن طريق التلفون المرئي للأنترنت بتقنية webcam.

4. مناقشة محتوى الدرس بحرية من طرف المتعلّم من خلال التقويم أو من خلال التغذية الراجعة feed-back دون حرج أو خوف من المدرس.

5. تفاعلية عملية أكبر interactivity ما بين المتعلّم والمادة التعليمية وما بين المتعلّم والمعلّم.

6. إمكانية التعلّم لساعات طويلة، ومراجعة الدرس في الوقت الذي يناسبه دونما حرج أو خوف، وهذا مكسب هام للمتعلمين البطيئين وبالخصوص إذ تواجدوا في فصول متعددة المستويات.

7. إمكانية التعلّم (المواد المقررة في برنامج تعليم الكبار) والبحث عن المراجع والأبحاث المتعلقة بالموضوع من خلال استخدام نفس الوسيطة: الأنترنت، دون عناء أو تعب.

2 . الحاسوب :

ظهرت الحواسيب الشخصية personal computers (PC) على الساحة التجارية خلال بداية عقد الثمانينات، وبالرغم من أن قدرتها الاستيعابية والعملية كانت ضعيفة جداً، ولم تكن تتوفر إلا على نظام استخدام معقد MS DOS وأقل تفاعلية وإنسيابية إلا أنها غزت البيوت بسرعة جنونية، ووجدت لها جمهورا عريضا متعطشا لاستخدامها كمعين أساس في العمل اليومي في شتى المجالات الخدماتية والمعرفية والاتصالية.

ومع مرور الزمن وظهور أجيال جديدة من الحواسيب أكثر قوة وأكثر سرعة في أداء العمليات المنوطة بها، تزايد الاهتمام بها من طرف شرائح مختلفة من المجتمع كالطلبة والأساتذة ورجال الأعمال والباحثين والإداريين وأصحاب المهن الحرة. وتضاعف الاهتمام بالحواسيب مئات المرات عند ظهور نظام التشغيل الشهير لشركة ميكروسفت Microsoft والمعروف بالنوافذ Windows

وعرفت الحواسيب خلال السنوات القليلة الأخيرة رواجا لا مثيل له لأنه في الوقت الذي تدنت فيه

أثمنتها ارتفعت بالمقابل سعة ذاكرتها وتضاعفت قوة محركها الداخلي في أداء العمليات الحاسوبية، وأصبحت أكثر سهولة في الاستعمال بفضل أنظمة التشغيل المتطورة windows 89 windows millenium أو windows XP.

وهكذا فبنقرة لطيفة على أحد مفاتيح الجهاز بإمكان الإنسان أن يلج عالما إلكترونيا عجيبا يسهل المعقد ويقرب البعيد وييسر الصعب.

وفي موضوع التعليم عن طريق الحاسوب يقول فخر الدين القلا :[11]

« يعد الحاسوب أكثر الآلات والأنظمة الحديثة تداخلا في التحكم بسلوك الإنسان المعاصر، وبالتالي أكثر الأنظمة تأثيرا في تعليمه وتعلّمه، وإكسابه معارف ومعلومات جديدة، وباختراع الحاسوب المصغر أصبح آلة تعليمية تعلّمية نموذجية، لذلك اقترح بعضهم تسميته (آلة تعليمية) ليتماشى مع تسمياتنا الحديثة لآلات تقوم بوظائف محددة مثل آلات الخياطة وآلات الغسيل، وآلات العجين والطبيخ، وما شاكل من آلات ذات وظائف محددة، ومن مبررات هذه التسمية أن الحاسوب المصغر، والحاسوب بصورة عامة يتميز بخصائص تعليمية تعلّمية متعددة».

ويرى هذا الباحث[12] أن للحاسوب عدة استعمالات تعليمية متميزة لفائدة المتعلمين الكبار يمكن تلخيصها فيما يلي :

1. الحاسوب أداة عرض المعلومات؛
2. الحاسوب أداة تسجيل استجابة المتعلم؛
3. الحاسوب أداة تفاعل وتقويم؛
4. الخصوصية والسرية في التعلم والتقويم بالحاسوب؛
5. الحاسوب أداة مراجعة؛
6. الحاسوب يتكيف مع السرعة الذاتية للمتعلم الكبير؛
7. تنظيم برامج الحاسوب لمناسبة الحاجات الفردية للمتعلم؛
8. الحركة والإحيائية؛
9. السعة الكبيرة للمعلومات؛
10. التربية الخاصة للكبار.

والحاسوب من الآلات التعليمية التي تستجيب للمتطلبات النفسية للمتعلّم الكبير السن بفضل تفاعليتها وسرعة أدائها، فهو يراعي سرعة الفرد واحتياجاته التربوية وظروف إعاقته الجسدية إن كان معاقا. ويجمع الاختصاصيون في مجال الإعاقة على أنه جهاز مثالي للتربية الخاصة وبالخصوص للمصابين بالإعاقات الجسدية، السمعية أو البصرية أو الذهنية.

وللتدريس بالحاسوب أنماط كثيرة [13] ومتعددة : كالتدريب والممارسة، فهذه الطريقة تمكن المتعلم من ممارسة التدريب وتثبيت الحقائق في الذاكرة أو حقل المهارة والتمكن من الحقائق عن طريق التمارين المكررة، والدروس الخصوصية التي تستجيب للمتطلبات والاحتياجات التربوية اللصيقة والشخصية للمتعلم، والألعاب التعليمية التي تحقق المتعة والتعلم في نفس الوقت وتنجح في تكوين مهارات الاتصال الاجتماعي والاتجاهات الإيجابية، برامج المحاكاة التي تهدف إلى تمكين المتعلم من خبرة المواقف الحقيقية التي يصعب تحقيقها في الواقع أو في بيئة أخرى، وبرامج حل المشكلات وتستخدم لتحقيق الأهداف العليا من التعلم، إذ يحتاج المرء بعد حفظ وفهم الحقائق والمفاهيم إلى ممارسة حل المسائل والمشكلات المتعلقة بها.

3. القنوات الفضائية :

من بين الفوائد العديدة للثورة الرقمية في مجال المعلوماتية والاتصال، تكاثر وتناسل القنوات الفضائية التلفزيونية المتخصصة، وهكذا أصبحت لكل الباقات التلفزيونية العالمية قنوات تخصصت في مجال التربية والتعليم، فباقة النايلسات Nile Sat أفردت أكثر من 6 قنوات للتربية والتعليم بكل أسلاكه. وتقدم بعض هذه القنوات دروسا يمكن أن يستفيد منها المتعلّم، مع العلم أن هذه الدروس يعاد بثها عدة مرات على التلفزيون بغرض تعميم الفائدة وإعطاء الفرصة للمتعلّم لإعادة مراجعة الدرس.

ويقول فخر الدين القلا في موضوع تعليم الكبار عن طريق التلفزيون والفيديو :[14]

« دخل التلفزيون والفيديو في الحياة الثقافية، والإعلامية للفرد العربي منذ الستينات، ويزداد تأثيره على الصغار والكبار، في التعليم العرضي، اللانظامي، إذ يختار أعضاء الأسرة البرامج التلفزيونية وفق اهتماماتهم السياسية، الدينية، العلمية، الرياضية، الاجتماعية، عن طريق ضغط زر التلفزيون أو الفيديو وذلك ليصبح التلفزيون "نافذة" صغيرة يطل منها المرء على العالم الواقعي ...»

وللتعليم والتكوين عن طريق التلفزيون خصائص عديدة، نذكر من جملتها :

1. **الآنية واللحظية** : إن سمة الفورية للبرامج الحية كالأخبار والبرامج المباشرة والمباريات الرياضية والمناسبات السياسية تعطى لثقافة التلفزيون جاذبية خاصة.

2. **الواقعية العملية** : يقربنا التلفزيون من الواقع من خلال البرامج التوثيقية عن الحضارات والثقافات العالمية، فنتعرف عن قرب على شعوب العالم وعلى قبائله وعاداتهم وعلى وقائع حياة الحيوانات في الأدغال والأسماك والحيتان في قاع البحار.

3. **تسجيل البرامج المعروضة على الشاشة** : بإمكان المشاهد التحكم في المواد المعروضة على التلفزيون من خلال عملية التسجيل، وبإمكانه أن يشاهد برنامجا وفي نفس الوقت يقوم بتسجيل برنامج آخر، لتصبح فيما بعد معينات ووثائق تربوية ذات أهمية بالغة .

4.اختيار البرامج بحرية : مع دخول التلفزيون الرقمي الخدمة في معظم دول العالم أصبح بإمكان المشاهد الاختيار من بين مئات القنوات المتخصصة في عدة مجالات معرفية وترفيهية حسب الاهتمام، فالتلفزيون الرقمي اليوم يوفر للمشاهد قنوات حول الحيوانات والبحار والتربية والتكوين المهني وتعليم الكبار ومحو الأمية وقنوات للتبضع المباشر direct shopping وقنوات للبيع والشراء.

وقد استخدم التلفزيون منذ ظهوره في المجال التعليمي، وكانت أمريكا سباقة إلى ذلك من خلال البرنامج التربوي الشيق Cesame Street الذي تم نقله فيما بعد إلى كل تلفزيونات العالم بما فيها العربية والتي ما يزال يتواجد ضمن برامجها تحت اسم "افتح يا سمسم". وبعد ذلك ظهرت في مختلف الدول ما أطلق عليه التلفزيون المدرسي وهي برامج لساعات محدودة تهتم بالمسائل التربوية التعليمية. ومع ظهور البث الرقمي في بداية التسعينات أصبحت هذه البرامج عبارة عن فضائيات مستقلة تهتم بتأهيل المعلمين وتعليم الكبار ومحو الأمية.

وقد استعملت المملكة العربية السعودية [15] التلفزيون في شكله المغلق close circuit TV في تعليم الفتيات. ويجلس الأستاذ في غرفة مجهزة بشاشة عرض وكاميرا والطالبات في غرفة أخرى، ويلقي الأستاذ درسه عبر الشاشة وتتصل به الفتيات للاستفسار ووضع الأسئلة من خلال الهاتف. وقد بينت اختبارات الطالبات لسنة 1399 هـ أن مستواهن كان أرفع وأفضل من مستوى الطالبات اللواتي تعلمن بالطرق التقليدية.

وقد تم استخدام التلفزيون في محو الأمية وتعليم الكبار في الكثير من الدول العربية مثل اليمن، وسوريا، والجزائر، والعراق مع إعادة بث البرامج عدة مرات للاستفادة القصوى منها. وقد حققت هذه التجارب الرائدة نجاحات كبيرة وساهمت في تعليم أجيال من الأميين في الوطن العربي.

ويقدم التلفزيون المغربي منذ أكثر من ثلاث سنوات تجربة فريدة من نوعها على القناة التلفزيونية العامة وعلى الساتل (القناة الفضائية) تتمثل في البرنامج الناجح في مجال تعليم الكبار وهو "ألف لام" لمؤسسة "همزة وصل" الخيرية. وقد جندت هذه المؤسسة بالتعاون مع التلفزة المغربية مجموعة من ألمع وأشهر الممثلين المسرحيين والسينمائيين لتقديم دروس في محو الأمية وتعليم الكبار والتوعية العامة من خلال اسكتشات فكاهية هزلية تستمد موادها من التراث الشعبي المغربي والثقافة الإسلامية، ويتجاوب الجمهور العريض مع هذا البرنامج الناجح الذي جمع ما بين التربية والتعليم والثقافة والترفيه في آن واحد.

ودعما لهذه التجربة المتميزة قامت خلية ابتكار ونشر الوسائل البيداغوجية بمؤسسة "همزة وصل" بدعم من المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ـ إيسيسكو ـ بنشر وتوزيع معينات تربوية مرافقة للبرنامج تحمل اسم «أتعلم اللغة العربية واحفظ القرآن الكريم» تضم ثلاثة كتب و10 أشرطة سمعية [16].

4. الفيديو والأوديو (video/audio):

بفضل الثورة الرقمية المذهلة التي عرفتها الإنسانية خلال العقد الأخير من القرن الماضي، ظهرت إلى الوجود أدوات بصرية وسمعية متطورة جداً مثل الأقراص المضغوطة التي بإمكان الإنسان تسجيل الصوت والصورة والبيانات عليها DVDR والتي تتوفر على سعة استيعاب من قبيل 700 MB أي ما يعادل زمنيا 80 دقيقة من التسجيل.

وللفيديو والأوديو الرقمي المتطور خصائص متعددة لها تطبيقات تربوية مفيدة :

1. التحكم في تسجيل البرامج التلفزيونية والإذاعية حسب الرغبة وحسب الحاجة دون استخدام آلات معقدة لالتقاط الصوت وأخرى لتسجيل الصورة.

2. التحكم المطلق في إعادة تشغيل الأقراص المسجلة والتحكم كذلك في سرعة استخدامها (النسق البطئ أو النسق السريع أو العرض على شكل صور ثابتة أو لوحات).

3. التحكم في العرض خلال المراجعة أو خلال استخدام المواد المسجلة .... المعلومات واستيعابها أو كتابة مادة تعليمية.

4. إمكانية التفاعل مع المواد المسجلة للتمرّن على النطق وتثبيت المعلومات والاستظهار والكتابة، وبإمكان المتعلم إيقاف الشريط عند النقطة التعليمية المناسبة للقيام بعمليات كالرسم والإجابة على الأسئلة والتلخيص.

5. إمكانية استغلال المادة التعليمية المسجلة بإعادة تسجيلها بصوت المتعلّم على شريط آخر والقيام بمقارنة الشريطين لمعاينة مدى الاستيعاب والتعلم ومدى الإتقان في مسألة النطق والمحادثة والتدرج في الموضوع.

6. الاستخدام التعليمي الأمثل للمواد المسجلة من خلال تقنيات عرض لقطة بلقطة frame by frame أو البحث السريع عن المعلومة fast search أو الاستخدام البطيء للمادة وهذه كلها تقنيات رقمية متطورة يستعملها المتعلّمون الكبار في مراجعة دروسهم لاستيعاب معلوماتها ولتعلم لغة من اللغات.

ويؤكد كل من مسارع الراوي وقمر الدين قرنبع على أهمية التسجيلات الصوتية في عملية تعليم الكبار[17]:

« وهي تستخدم على نطاق واسع في مجال تعليم الكبار وذلك لقدرتها على تعبئة الكلام وحفظه والاستماع إليه في أي وقت يشاء، وبالرغم من أن الاستماع إلى الإذاعة أو التسجيلات الصوتية لا يتطلب معرفة القراءة أو الكتابة إلا أنه يتطلب تمكن المستقبل من قدر من الثروة اللغوية وإلمام بأساليب اللغة والمفردات التي يحتويها البرنامج الدراسي. وتتميز التسجيلات الصوتية بصفة رئيسية لا تتوافر للإذاعة وهي الحرية في الاستماع أو عدمه".

وللتسجيلات الصوتية عدة ميزات تعليمية عالية، فبإمكان المتعلّم استخدامها متى شاء، وعدد المرات التي يشاء دون أن تتأثر جودتها أو صفاؤها، ويمكن له استعمالها في أي مكان يريد وبالخصوص في الوقت الحاضر مع ظهور آلات رقمية صغيرة جداً وعالية الكفاءة والمردودية التقنية digital recorder player.

والتسجيلات الصوتية باستخدامها عدة مرات على التوالي من طرف المتعلّم تساعد هذا الأخير على استيعاب المادة الدراسية بسرعة واستغلال مكوناتها.

وآلات التسجيل الرقمية المتوفرة حاليا تمكن المستعمل من التحكم في وتيرة التسجيل من حيث السرعة والصوت والنغمة وتجزئة الكلمة إلى مقاطع syllables إذا ارتأى ذلك.

وبإمكان المتعلّم كذلك استخدام هذه الآلة لتسجيل مواد الدرس بصوته ومقارنتها بتلك التي تكفل المدرس بإعدادها، سواء على مستوى النطق أو الأداء المقطعي أو النغمة أو السرعة، بالإضافة إلى تسجيل الإجابات على الأسئلة المتعلقة بالفهم والاستيعاب للمادة التعليمية.

وتكمن الأهمية التربوية للتسجيلات في أنها تساعد المتعلّم الكهل على التعلّم والفهم والاستيعاب لأنها بإمكانها توفير الخصوصيات التعليمية التالية :

1. خاصية التكرار : استخدام المادة التربوية حسب الحاجة والرغبة.
2. خاصية المقارنة : مقارنة تسجيلات المتعلّم مع التسجيلات الأصلية من أجل تحسين الأداء.
3. خاصية التثبيت : التكرار يساعد على التعلّم بالخصوص لدى الكبار.
4. خاصية الفهم والاستيعاب : التكرار يساعد كذلك على الفهم وبخاصة لدى المتعلمين الكبار ذوي الاحتياجات العقلية والنفسية الخاصة.

القراءة ودورها في تعليم الكبار :

كان الإنسان قديما يتعلّم ليقرأ، يدرس ليصبح قارئا، يتباهى أمام الناس بأنه أفنى عمره من أجل تعلم القراءة وإتقانها، أما اليوم فإن الإنسان يقرأ ليتعلّم. وأصبحت القراءة وسيلة أساسية للوصول إلى المعرفة وإلى العلم وأصبحت القراءة أحد الأعمدة الأساس للتعلّم ومحو الأمية: الكتابة، والقراءة والحساب the three Rs: writing, reading and arithmetics.

وكان الناس قديما كذلك يتعلمون القراءة من أجل القراءة، دون فهم أو استيعاب ما يقرؤون. وكان المسيحيون في القرون الوسطى وبالخصوص النبلاء والأغنياء منهم يصرفون الأموال الطائلة لتعليم أبنائهم القراءة لا رغبة في التعلّم والتزوّد بالمعرفة ولكن ليتمكنوا من قراءة كتب الإنجيل والعهد الجديد والكتب الدينية الأخرى باللاتينية، علما أنها لغة لم يكونوا يجيدون فهمها لأنهم كانوا يتواصلون بينهم بلهجات محلية أصبحت فيما بعد لغات مستقلة بذاتها تعرف بالفرنسية والإسبانية والإيطالية والبرتغالية.

كما كان الرهبان والراهبات يقضون عمرهم في الأديار يتعلمون قراءة اللاتينية بغرض قراءة الكتب والمخطوطات لكبار رجال الدين الكاتوليك. وقد ألغى البروتستان هذه الظاهرة التي وسموها بالغباء وشجعوا الناس على قراءة المواد الدينية المسيحية بلغتهم الأم من أجل فهمها فهما كاملا. ونتيجة لهذا الإلغاء تراجعت اللاتينية إلى درجة الموت البطيء والانقراض الحتمي.

وفي تعريف موضوع القراءة يقول جاسم محمود الحسون ونائل محمود السعيدي :[18]

"القراءة في أساسها عملية ترمي إلى ربط لغة التحدث بلغة الكتابة. ولقد كان مفهوم القراءة أول الأمر يتمثل في تمكين المتعلم من المقدرة على تعرف الحروف والكلمات ونطقها، فكان مفهوم القراءة ضيقا محصورا يتمثل في الإدراك البصري للرموز المكتوبة، وتعرفها والنطق بها، وكان القارئ الجيد هو الذي ينطق جيدا ويقرأ بصوت مسموع واضح، ويخرج الحروف من مخارجها الصحيحة، وطبقا لهذا المفهوم كانت القراءة الجهرية مدار التدريب على القراءة في جميع مراحل التعليم، وكذلك كان اتجاه المعلم في تعليم المبتدئين، فلقد كان همه أن يعلمهم معرفة الرموز والنطق بها دون الاهتمام بالفهم أو بالمعاني التي وراء تلك الرموز، على أساس أن الفهم سيأتي مع الأيام بالتدريب والمران".

لقد عرفت القراءة خلال المسيرة الإنسانية عدة مراحل تطور فيها مفهومها علميا وتربويا ودلاليا، وهذه المراحل هي كالآتي :

المرحلة الأولى : التعلّم من أجل القراءة :

في بداية تاريخ الإنسانية كان الناس ينظرون إلى القراءة كمعجزة لما تتطلبه من ذكاء وانضباط واجتهاد ومثابرة. وكانت تتطلب مسألة القراءة سنوات من الكد والجد.

وكان ينظر إليها كعملية فكّ الرموز المرسومة ثم إعادة تجميعها ذهنيا وصوتيا للنطق بها. وبما أن الإنسان كان يتعلّم ليقرأ لا غير ظهرت عبر العصور مهارة التجويد وحفظ الأمداح الدينية وتطورت مهنة الحكواتي في الأسواق وسالبرّاحس والمُسَمّع والمقرئ وغيرها من المهن المرتبطة بفن القراءة والاستظهار، وهذه المهن لم تكن تتطلب أي ذكاء يذكر بل المثابرة في التحصيل والاستمرارية في التعلّم والكد في العمل.

المرحلة الثانية : القراءة من أجل التعلّم :

وفي بداية القرن التاسع عشر، ومع تغيير وضعية الإنسان من رعية subject، عليه واجبات وليس له حقوق إلى وضعية مواطن citizen، له حقوق وواجبات تحميها القوانين الوضعية، بدأ الاهتمام بالقراءة كأحد العناصر الأساس لمحو الأمية والمدخل الرئيس للعلم والمعرفة والوسيلة الاستراتيجية القصوى لتأهيل الإنسان وتخليصه من آفات الجهل والفقر والاتكالية. وبفضل القراءة من خلال برامج محو الأمية وتعليم الكبار استطاع الملايين من بني البشر تحسين وضعيتهم المعرفية والمادية بحيث أصبحوا شركاء بكل ما في الكلمة من معنى في عملية التنمية الشاملة والمستديمة. وهكذا اعتمدت القراءة في الكثير من الدول المتقدمة والدول النامية كإحدى الوسائل الهادفة من أجل القضاء على الجهل وتحسين الوضعية الاجتماعية للمواطنين. وتنظم

الدوائر المهتمة بالتعليم في أمريكا كل سنة حملة كبيرة لتشجيع القراءة تطلق عليها «شهر القراءة» Reading Month توفر خلالها للأطفال والشباب والكهول كتبا بالمجان وجوائز تشجيعية.

ولقد حث القرآن الكريم الإنسان المسلم على القراءة وطلب العلم وجعلهما بمثابة فرض من الفروض. ويقول الله سبحانه وتعالى :

﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ، خَلَقَ الْإِنسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ، الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ، وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ (الرحمن: 1 ـ 4).

ولقد عرفت الثقافة الإسلامية منذ بدايتها بأنها ثقافة قراءة وعلم ومعرفة، وقد انتشرت المدارس القرآنية في كل أنحاء المعمور التي فتحها الإسلام، وكان لهذه المدارس دور فعال في نشر العلم والدين والمعرفة والموعظة الحسنة. ولقد عرف العصر الذهبي للإسلام نقل علم القراءة إلى أوروبا التي كانت تغط في سبات الجهل من خلال إسبانيا المسلمة أي الأندلس، وكان هذا بمثابة الانطلاقة لما اصطلح على معرفته بعصر النهضة الأوروبية، والتي كانت الانطلاقة الأساس لتقدم أوروبا والغرب كافة.

وعندما تقوت شوكة أوروبا في القرن الثامن عشر وتطور اقتصادها، عوض مقابلة الجميل بالجميل، سعت إلى غزو بلاد المسلمين وإذلالهم وذلك بتشجيع الجهل والخيانة من خلال القضاء على الكتاتيب والخلاوي والمدارس القرآنية والجامعات الإسلامية والزوايا ودفع الناس إلى التخلي عن علم القراءة والكتابة والبحث العلمي والإبداع. فحاربت اللغة العربية، لغة القرآن الكريم والحرف القرآني بدليل أنهما يتنافيان مع التقدم والتنمية وأنهما شيئان من رواسب الماضي لا مكان لهما في ذلك العصر. واليوم يسعى كل من البنك الإسلامي للتنمية والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ـ إيسيسكو ـ بمعية عدد من المنظمات الإسلامية إلى تنميط لغات الشعوب الإسلامية لكتابتها من جديد بالحرف القرآني. وهكذا فقد نجحت المنظمة الإسلامية، بيت الخبرة المكلف بتنفيذ هذا النشاط، في تنميط أكثر من 21 لغة أفريقية وتوفير راقنات للمتحدثين بها[19]. وتم استخدام هذا الحرف في محو الأمية في الكثير من الدول الأفريقية وفي تعليم القراءة والكتابة، وظهرت في الكثير من الدول جرائد مكتوبة بالحرف القرآني، كما هو الأمر في منطقة فوتا جالون الفلاحية Fouta Djallon بغينيا، لفائدة المتعلمين الجدد والمتعلمين الكبار.

المرحلة الثالثة : القراءة من أجل التنمية الذهنية

إنّ الثورة الرقمية التي يعيش العالم تجلياتها المذهلة اليوم، أولت القراءة أهمية كبيرة حيث جعلت منها مفتاح التنمية وليس أي شكل من التنمية، بل التنمية الذهنية، وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال مفاده : "ما هو المقصود من التنمية الذهنية".

قديما كان الإنسان يقرأ للحصول على المعارف وللتأهيل في حياته العملية. أما اليوم فهذا ليس كافيا بتاتا، المطلوب من الإنسان القراءة من أجل التعلّم ومن أجل التنمية الذاتية كما هو مبين أسفله:

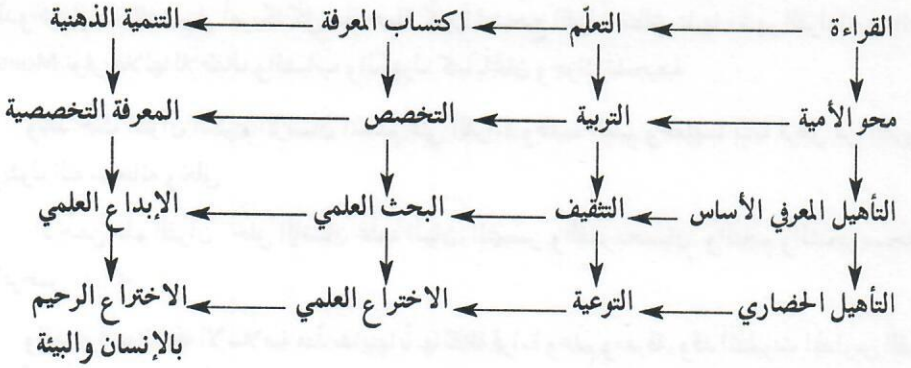

والتنمية الذهنية تضع الواعز الإنساني والأخلاقي في المرتبة الأولى، فالعلم الحديث بقدر ما أنه ساهم في التقدم المذهل للبشرية خلال القرن الماضي، فإنّ له تجليات سلبية يمكن تلخيصها فيما يلي :

1. التقدم شجع الفردانية individualism على حساب الجماعة communitarism، الشيء الذي أدى إلى تراجع مؤسسة الأسرة ومؤسسة الزواج ووظائفهما كإنجاب الأولاد وتربيتهم وعوض ذلك ظهر زواج الشواذ والسحاقيات.

2. التقدم شجع ظهور الاستنساخ الذي طبق بنجاح على الحيوانات، وإذا ما طبق على البشر، لا قدر الله، فسيكون كارثة إنسانية لا يعرف أحد نتائجها.

3. النمو الحضاري أدى إلى تراجع مخيف وخطير على مستوى التنوع البيئي biodiversity.

4. ظهور أمراض فتاكة كالأيدز Aids وإيبولا Ibola وأوبئة ناتجة عن السموم الصناعية.

5. ظهور أسلحة الدمار الشامل والأسلحة النووية الفتاكة.

إن التنمية الذهنية تشجع على المعرفة التخصصية العقلانية التي تشجع بدورها الإبداع العلمي المسؤول والنافع المؤدي إلى الاختراع الرحيم بالإنسان وبيئته. فلا خير في نمو حضاري يفتك بمبدعه وصانعه. إن الله سبحانه خلق كل شيء بمقدار وعدم احترام هذه المقادير هو بمثابة عصيان الخالق وعصيان الخالق هو نوع من الكفر.

وتعليم القراءة للكهول يهدف إلى تحقيق المهارات الآتية: [20]

1. المهارة في التعرف على الكلمات والجمل ونطقها نقطا صحيحا؛
2. القدرة على التعرف على أصوات الحروف الهجائية وأشكالها؛
3. القدرة على فهم معنى الكلمة من سياق الجملة والبحث عن المعاني في أثناء القراءة؛
4. القدرة على نقد الأفكار المقروءة؛
5. المهارة في قراءة الكلمات والجمل بصورة صحيحة وبسرعة مناسبة؛

6. المهارة في كتابة الكلمات بوضوح وبسرعة مناسبة؛
7. القدرة على الانتفاع بالمادة المقروءة في مجالات الحياة كافة.

وتدريس القراءة يكون من خلال ثلاث طرق وهي :

- الطريقة الجزئية؛
- الطريقة الكلية؛
- الطريقة التوليفية.

والطريقة الجزئية التي يطلق عليها كذلك اسم الطريقة التركيبية تعتمد تدريس مكونات الكلمة جزءا جزءا. فإذا كان التقديم عن طريق الحروف سميت بالطريقة الأبجدية أو الطريقة الهجائية أما إذا كان عن طريق الأصوات فتعرف آنذاك باسم الطريقة الصوتية. وهذه الطريقة تنقل المتعلم من الجزء إلى الكل تدريجيا وذلك بتقديم حيثيات كل مكون من مكونات الكل كمدخل إلى المعنى العام.

أما الطريقة الكلية فهي تسعى في البداية إلى تعليم الجملة والانتقال فيما بعد إلى أجزائها. وهذا لا يعني أن هذه الطريقة لا تعنى بالحروف والأصوات.

في حين تبتدئ الطريقة التوليفية، التي استحدثت من الطريقتين المذكورتين أعلاه، بالجملة فتوفر للمتعلّم المعنى وتكسبه السرعة في القراءة.

وفي تقديم هذه الطريقة يقول كل من جاسم محمود الحسون ونائل محمود السعيدي:[12]

"وتهتم بتحليل الكلمات تحليلا صوتيا لتميز أصوات الحروف وربطها برموزها، وبذلك تضمن ميزة معرفة صور الحروف وأصواتها وكتابتها بالتدرج حتى يحسن المتعلم السيطرة على وسيلة هامة من وسائل قراءة الكلمات الجديدة، وبذلك تنتفع بمزايا الطريقة الصوتية وتستبعد عيوبها".

أما خطوات تدريس القراءة فتكون كالآتي :

1. المدخل : التدريب الصوتي
2. العرض : القراءة
3. المران : التدريب
4. الاستغلال : ربط المعرفة المقدمة بتجربة المتعلّم

المدخل : التدريب الصوتي :

يقدم المدرس الصوت الجديد للحرف الجديد للدارس، ويدربه على النطق به نطقا جيدا ومتقنا ثم ينتقل إلى الحرف / الصوت الموالي ثم الكلمة إذا اعتمد الطريقة الجزئية والعكس إذا اعتمد الطريقة الكلية.

العرض : القراءة :

يطلب من الدارس القيام بقراءة النص المعروض عليه قراءة صامتة لاستيعاب مكوناته الصوتية والتركيبية والدلالية أولا، ثم قراءته قراءة جهرية لتدريبه على النطق الصحيح للكلمات والتعبير عن المعاني التي تشتمل عليها الجملة.

المران : التدريب :

يتم ذلك من خلال الانتقال من الحرف أو الصوت إلى المقطع، ثم إلى الكلمة مع إدراك معناها، ثم إلى جملة مفيدة قصيرة وبعد ذلك جملة مفيدة عادية مع استخدام الكلمات التي تم استيعابها في الدروس السابقة. وهذا التدرج في التمرّن والتدريب يساعد على الفهم والاستيعاب واستغلال الرصيد اللغوي السابق.

الاستغلال : ربط المعرفة المقدمة بتجربة المتعلّم :

يتم من خلال هذه المرحلة ربط التجربة القرائية المدرسية بتجربة المتعلّم الخاصة سواء في البيت أو في أي مكان آخر وذلك بغرض تقريب مهارة القراءة من المتعلم وتحبيبها له، وهذه التجربة تعتمد مبدأ الواقعية إذ تحاول أن تجعل من القراءة نشاطا يوميا لا يقتصر على الفصل (الصفي) فحسب بل يتحداه ليلج البيت والمكتب والمقهى وكل مكان آخر.

وتعرف القراءة في العالم المصنّع تقدما مطردا ويظهر ذلك جليا من التزايد المذهل في صناعة الكتاب وفي الصحافة الورقية بالرغم من منافسة الصحافة والكتاب الإلكترونيين، وذلك لأن شغف الإنسان الغربي بالقراءة لا حدود له، في حين أنّ القراءة في تراجع خطير في الدول النامية بسبب خطر الارتداد إلى الأمية وبسبب غلاء المواد القرائية وشحها مدرسية كانت أم ثقافية، وأيضا بسبب تقاعس المتعلمين عن القراءة. لذا فإن نجاح تعليم الكبار ومحو الأمية مرتبط دون أدنى شك بممارسة القراءة من طرف المتعلّمين الجدد شريطة توفير المواد القرائية لهم بالمجان وتشجيعهم على القراءة باعتبارها نوعاً من الغذاء، وهو بالفعل غذاء فكري ضروري.

الخاتمة :

لقد حاولنا من خلال هذا البحث التعريف بالمفاهيم المتعددة لتعليم الكبار، سواء كمفاهيم فلسفية عامة أو كمفاهيم تربوية متخصصة أو كمفاهيم حضارية قبلت بها دول العالم كافة. كما سلطنا الضوء على وضعية تعليم الكبار في العالم الإسلامي والظروف التي أدت إلى ظهور المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ـ إيسيسكو ـ كمنظمة متخصصة داخل منظومة منظمة المؤتمر الإسلامي، عهد إليها مسؤولية النهوض بالتربية والعلوم والثقافة وبالخصوص والحالة هذه أن تعليم الكبار يعرف عدة مشاكل ناتجة عن قصور من المؤسسات

المكلفة به والبرامج المعدة له والافتقار إلى سياسة تربوية واضحة في هذا المجال. ثم تطرق البحث إلى المسؤوليات التي تضطلع بها المنظمة الإسلامية في مجالي محو الأمية وتعليم الكبار والبرامج والأنشطة والمشاريع التي نفذتها منذ تأسيسها سنة 1982 والمؤتمرات الدولية التي ساهمت في رعايتها دوليا سواء مع اليونسكو أو غيرها من المنظمات الإقليمية والدولية.

وانتقل البحث إلى التطور الذي عرفه تعليم الكبار في ظل التقدم العلمي المذهل للإنسانية مبينا أن موضوع تعليم الكبار أصبح متضمنا في الكثير من مجالات التربية التي ظهرت إلى الوجود في السنوات الأخيرة مثل التربية للجميع Education for All وتربية الجماهير Mass Education والتربية الشعبية / التربية الاجتماعية Social Education، إلخ.. وكيف أن مثل هذا التعليم وجد ضالته في الأنترنت online education الأمر الذي ساعد على ظهور ما اصطلح على تسميته بالتعليم الإلكتروني electronic education الذي يوفر للمتعلم تفاعلية أكثر ومردودية أفضل وتواصلا مستمرا مع المدرس، ويشير البحث إلى الدور الطلائعي الذي يقوم به الحاسوب كأداة فعّالة في المسألة التعليمية في كل مراحلها وأطوارها لكثرة استعمالاته التربوية: التلقين، والتمرين، والتدريب، والتخزين، والمحاكاة، والتقويم والاختبار، وما إلى ذلك.

ثم انصب اهتمام البحث حول دور القنوات الفضائية في تطوير وتشجيع تعليم الكبار سواء من خلال القنوات التربوية المتخصصة أو من خلال التعليم العرضي incidental education، وما تقدمه من خدمات تربوية هائلة إلى المتعلّم بطريقة مباشرة أو بطريقة غير مباشرة، ودور التسجيلات الصوتية والتسجيلات المرئية في النهوض بتعليم الكبار وبالخصوص داخل المجتمعات السائرة في طريق النمو.

وكان آخر موضوع تطرق له البحث هو القراءة ومنافعها الجمّة في مجال تعليم الكبار والمراحل التي مرت منها القراءة عبر العصور كالتعلّم من أجل القراءة أولا ثم القراءة من أجل التعلّم وأخيرا القراءة من أجل التنمية الذهنية ثم طرق القراءة الثلاث: الجزئية، والكلية والتوليفية.

الهوامش

1. عايف حبيب وعبد الجليل يونان هنودي، 1989 "تطور مؤسسات التعليم العالي ودورها في تعليم الكبار والتربية المستمرة في الوطن العربي". علم تعليم الكبار. الجزء الثالث. الأليكسو: تونس. ص 103-104

2. مسارع الراوي وقمر الدين قرنبع. (غير مؤرخ). قراءات في محو الأمية وتعليم الكبار لمعاهد المعلمين وكليات التربية. الأليكسو: تونس. ص 14.

3. Good, Carter V., Editor. 1973. Dictionary of Education. Mc Graw Hill Book Company. P. 163.

4. المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة. 1995 الميثاق. الإيسيسكو: الرباط. ص ص. 6_7

5. وقد نتج عن هذا المؤتمر العالمي "البرنامج الخاص لمحو الأمية وللتكوين الأساسي للجميع في البلدان والجماعات الإسلامية" الذي أقره المؤتمر العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة المنعقد في دورته الاستثنائية في جومتين بتايلاند في 1990-33

6. فخر الدين القلا. 1989 ."الوسائط الحديثة في تعليم الكبار"، في علم تعليم الكبار. نفس المصدر المذكور في رقم 1 أعلاه. ص 54

7 . موقع وكالة اكتشاف الفضاء NASA العام www.nasa.gov: الموقع التربوي للوكالة:
http://education.nasa.gov/home/index.html.

8 . موقع شهادات الأنترنيت الموفرة من طرف مجموعة من الجامعات الأمريكية في إطار برنامج :
www.college-net.com: Online Degrees-t College Network

9. تعد جامعة كابيلا Capella University من أشهر الجامعات الأمريكية المعتمدة في مجال التعليم بالأنترنيت one line education وهي تقدم نفسها بأنها جامعة توفر للطالب تعليم من جودة عالية في بيئة تنافسية كبيرة :
As an accredited university, Capella University takes online education to a higher level. We believe that real, life-changing learning can only take place in an environment of challenge, engagement, And academic excellence.

وتتوفر هذه الجامعة الإلكترونية على الكليات التالية :

- كلية المال والأعمال School of Business
- كلية التربية School of Education
- كلية الخدمات الإنسانية School of Human Services
- كلية هارولد آبل لعلم النفس Abel School of Psychology Harold
- كلية التكنولوجيا School of Technology

وتوفر الكلية شهادات الباكلوريوس والماجستير والدكتوراه والشهادات المتخصصة في المواد التالية:

- المال والأعمال Business
- العدالة الجنائية Criminal Justice
- إدارة العناية الصحية Health Care Administration
- التعليم العالي Higher Education
- الموارد البشرية والتكوين Human Resources & Training
- الخدمات الإنسانية Human Services
- تكنولوجيا المعلومات Information Technology
- التعليم الإعدادي K-12 Education
- علم النفس Psygchology
- تدبير المشاريع Project Management
- الخدمات الاجتماعية والمجتمعية Social and Community Services

وموقع هذه الجامعة على الأنترنت على الشكل التالي :
http://www.capella.edu/default.aspx

10 . التعليم الإلكتروني e-learning هو نوع من التعليم الأكاديمي الذي يجمع ما بين التعليم العام العادي والتعليم

الذاتي self education، ويمتاز بالتفاعلية التامة total interactivity وسمة الحصرية exclusivity وميزة التفرد، إذ أن كل متعلم يتلقى تعليمه ودروسه على انفراد تام. والتعليم الإلكتروني يتم عن طريق الأنترنت والحاسوب والوسائط المتعددة Multimedia

11 . نفس المصدر المذكورفي رقم 1 ص 55

12 . نفس المصدر المذكورفي رقم 1 ص ص 55-58

13 . نفس المصدر المذكورفي رقم 1 ص 62-64

14. نفس المصدر المذكورفي رقم 1 ص 71

15. تجربة زجامعة الملك سعودس في استخدام التلفزيون المغلقclose circuit TV في تدريس الفتيات.

16 . عبد اللطيف شوطا وحسن الصميلي 2003 أتعلم اللغة العربية وأحفظ القرآن الكريم. همزة وصل : الدار البيضاء (ثلاث كتب و10 أشرطة سمعية).

17 . نفس المصدر المذكورفي رقم، 2 ص 165

18 . جاسم محمود الحسون ونائل محمو السعيدي 1984 "طرق تدريس القراءة والكتابة"، في الدورة التدريبية المركزة: البرنامج والمحتوى وطرق التدريس، دليل لتدريب معلمي محو الأمية. الألكسو: تونس. ص. 171

19 . عبد العزيز بن عثمان التويجري 2004 مستقبل اللغة العربية. عربي / إنجليزي / فرنسي. الإيسيسكو: الرباط. ص ص 42-43

20. نفس المصدر الوارد في رقم 18 ص ص 118-119

21. نفس المصدر الوارد في رقم 18 ص 124